بين البالغين وانهيارات كثيرة، بدنية وعقلية. وثمة نتيجة أخرى متناقضة في التربية الجماعية. فهي تقوّي، بدلاً من ان تزيل، التعلق العاطفي بالاصل. ولقد بدت تلك لي من الخصائص المزعجة لعرقنا. الاطفال يسكنون بيتهم منذ ولادتهم تقريباً؛ يعني انهم يتعهدهم أشخاص متخصصون بدلاً من هواة جهلة. (ان وظيفة الاب التي تتضمن أضخم دور في المسؤولية الاجتماعية، هو، وحده، الذي لا يتطلب تفويضاً أو أذناً). ان هذا النهج، يمكّن، عدا عن ذلك، من امتياز يجعل الاهل احراراً في العمل خلال النهار، ويضمن نوماً لا يتقطع في أثناء الليل، كما يحمي الطفل من عقدة العجوز أوديب ومن غيرها من الآفات الاجتماعية.

عقدة أوديب ؟ كنت اتصور كوستلر أكثر حذقاً ومعرفة. ان بعد الاهل عن الطفل هو أهم سبب في عقدة أوديب وسواها من الشذوذ الجنسي. تلك قاعدة باتت لا يجادل فيها علم النفس الحديث، وباتت بيوت الاطفال جائزة وقتاً محدداً من النهار فيما تكون الام في عملها؛ لكن البطل الرئيس في الرواية قال عن نتائج هذه التربية ما يلي:

«مع ذلك، في أعماق ذاتي، ربما كان ربيبي الفطري يقول لي ان ذلك أجمل من ان يكون واقعاً. والمؤسسة لا عيب أبداً فيها. انه النوع الانساني الذي منه الجيل الجديد. لقد لاحظنا منذ وصولهم، تلك الفتيات القصيرات السمان، بعجيزاتهم الضخمة واثدائهن الثقيلة، السابقات اعمارهن جسدياً، والمتأخرات عنه عقلياً، اللائي لم ينضجن، من جهة، وسبقن النضج كثيراً، من أخرى؛ واولئك الصبيان الذين تعضّلهم غير سويّ، الحمقى والاغبياء، وضحكهم العدواني، وأصواتهم النشاز، الذين جرّدوا من التقاليد، والكياسة والاسلوب...

«كان آباؤهم ينتسبون الى أكثر عروق الارض تجوالاً؛ أما هم، ففلاحون شوفينيون. كان آباؤهم كتل أعصاب مفرطة في الحساسية وذوي أجساد غير سوية؛ اما هؤلاء، فأعصابهم كحبال، وأجسادهم كقبيلة طرزانية عبرية تطوف بين هضاب الجليل. آباؤهم كانوا حادّين، عنيفين، متوترين، مبهّرين؛ اما هؤلاء، فبلداء، بلا ذوق، وقساة. آباؤهم اشتهروا بتعدد اللغات، ونشأوا هم على ألّا يتكلموا غير لغة وحيدة، نامت عشرين قرناً قبل ان تنتعش اصطناعياً...

«ان ننتشل العبرية من تحجرها المقدس، فنجعل منها لغة حيّة، كان نصراً رائعاً. غير ان هذه المعجزة تفرض التضحيات. ان أبناءنا يستخدمون لغة لم تتطور منذ بدء العهد المسيحي. وهي لا تحمل أية ذكرى، أو أي اثر لما حدث للانسانية منذ عهد المعبد. تصوروا اللغة الفرنسية وقد انقطعت عن النماء منذ ' نشيد رولان ' مع انها أقرب الينا نحن بعشرة قرون. كلاسيكيّونا نحن هم العهد القديم، وأشعارنا تقف عند نشيد الأناشيد، وأبناؤنا عند يعقوب... وبعدها ألف عام بيضاء». والى ان يقول:

«بتنا لا نشعر بغرابة لغتنا، وحيث يمشي الناس على العكاكيز لا يقف العابر فيتسغرب. وهكذا، فقد رُبّي الجيل الجديد على الكلام بلغة تشكو ضعف الذاكرة. هؤلاء الأولاد لا يكتسبون غير أكثر المفاهيم بدائية عن الأدب العالمي، وتاريخ أوروبا، وليست لديهم غير فكرة غامضة عمّا حدث منذ اليوم الذي فيه، إبّان حكم تيتوس، احتلت الفرقة التاسعة قلعة داوود. انهم لا يتكلمون لغة أجنبية ما، لولا قليل من الانكليزية من مستوى مدرسة ليبنتز. والتراجم التي ليست كثيرة ولا جيدة عن الكلاسيكيين لا تحرّك شيئاً فيهم. ان عقولهم مقطوعة عنها الهرمونات الانسانية. وبالمقابل، فان معلوماتهم العلمية هي أعلى من معلومات الطلاب في البلدان الغربية، وهم لا يجهلون شيئاً يختص بالسماء والسقاية والدورة الزراعية. يعرفون أسماء النباتات والطيور. يعرفون كيف يستخدمون البندقية، ولا يخافون العربي، ولا الشيطان. وبتعبير آخر، انقطعوا عن ان يكونوا يهوداً من اجل ان يصبحوا فلاحين عبرانيين».

التربية الجديدة، إذاً، تستهدف اقتلاع الاحساس الانساني وزرع العداء في الأجيال وتحضير للمذبحة: «ان تذبح الآخر، او ان يذبحك». لقد خلقت جيلاً لا يناقش كثيراً، وانما يندفع الى أمام. واختيرت من التوراة النصوص التي تتغنى بالقتل، ومن الحاخامين من يحضّ عليه. فلا نعجب، بعد ذلك، اذا كان الجيل الذي نسمع بأخباره اليوم ـ وهو ثمرة تلك التربية ـ هو الجيل الذي يقوده كهانا ويكسر عظام البشر بالحجارة. في الوقت